

العدد : ١٢٩٧٩ - السبت ٥ أكتوبر ٢٠١٣ م، الموافق ٢٩ ذو القعدة ١٤٣٤ هـ

الثقافي

التشكيلي محمد شعبة يعيش في جدارياته

بقلم: فيصل عبدالحسن*

الفنان التشكيلي محمد شعبة الذي حرر اللوحة التشكيلية المغربية من أسر الحكاية، وحولها إلى متعة بصرية خالصة أستطاع بعد رحلة طويلة مع الفن والحياة، أن يضع بصمته الخاصة على لوحة تشكيلية تنتمي إلى الذوق والتراث العربي والمغربي، وإلى خيالات الفنان الفطري في هذه البلاد. أعاد شعبة الأعتبار للفنان الفطري المجهول، الذي يعيش في البوادي وعلى سفوح جبال أطلس، ويلون حياته بألوان الجمال.

فيضع في نسيج زريباته، وعلى واجهة خيمته وسروج خيوله، وحقائبه الجلدية، المربعات الحمر والزررق والسود، والدوائر بما يشيع الجمال والبهجة حوله، وبما يتوفر لديه من ألوان يستخرجها من أعشاب الطبيعة من حوله، وأحجارها ورمالها.

ولد الفنان محمد شعبة عام 1935 في مدينة طنجة، ودرس الفن التشكيلي بمدرسة الفنون الجميلة بتطوان وما أن تخرج منها عام 1962 حتى سافر إلى إيطاليا.

وما أن رأى شوارع روما، وبنائاتها المزينة بأعمال النحت وانتشار الكاليريات الفنية، والاهتمام الكبير بالفن والفنانين في هذه البلاد الأوروبية، حتى ركع لله شكراً، فقد منحه الله تعالى فرصة الوصول، والدراسة في هذه البلاد، الجميلة، الملائى بأعمال الفنانين، فكل شيء حوله كان يعلمه شيئاً جديداً، كما قال هذا في أحد الحوارات معه.

والتحق الفنان الشاب فور وصوله إلى إيطاليا بأكاديمية الفنون الجميلة بروما وتخرج منها عام 1964 وعاد إلى المغرب.

وبعد عامين من العمل الحر، عرض عليه العمل كأستاذ في مدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء عام 1966، وكانت هذه المدرسة قد تم أنشاؤها حديثاً، وعمل في الوقت ذاته أستاذاً بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط.

لوحات محمد شعبة وجدارياته في مختلف المدن المغربية بالدار البيضاء والصويرة والرباط والولايات المتحدة الأمريكية «كجداريته في قاعة الوصول في المطار الدولي بشيكاغو» كلها تعبر عن تجريد تشكيلي، ينتمي إلى الإرث الفني المغربي أكثر مما ينتمي إلى مدارس تجريدية غربية.

فلوحاته التي تزدان بالحروف، والفنون الحرفية والمعمارية العربية، وتجد كذلك في قسم كبير من جدارياته، كما ظهر هذا واضحاً في جداريته في مدخل «بهو مكتب الاستيراد والتصدير بالدار البيضاء» وهي من أعماله المبكرة في عام 1969 تشير إلى تمسك الفنان شعبة بمرجعياته العربية الإسلامية والمغربية.

وحنوه الدائم للتعبير بما متاح له من حيز فني، لتجسيد هويته الحقيقية، المعبرة عن الذات المغربية الإسلامية بكل أرثها الديني والفلكلوري.

لقد تأخت أعماله الفنية مع أعمال فنانيين مغاربة رواد رافقوه في رحلته الفنية الطويلة كفريد بلكاھية، محمد المليحي، سعد السفاج.

وقد شاركوه همه لنقل اللوحة المغربية من لوحة تحكي نصاً رؤيويماً إلى لوحة تمنح رأيها متعة بصرية خالصة ولا تحكي له أي قصة، ولا تقول رأياً أو شيئاً آخر ولا تملك غير انتمائهما إلى التراث المغربي والتذوق الجمالي الشعبي للفن.

لقد حاول شعبة طوال عمره الفني أن يكون مغيراً في ثوابت الفن المغربي، الذي تأثر كثيراً بمدرسة تطوان الفنية، التي نقلت إلى المغرب الإرهافات الأوروبية في رسم اللوحة التشكيلية.

وحرصت على نقل الرسم الفيكوراتيف «التشخيص» إلى الرسم المغربي، ونقلت أساليب المدارس الأوروبية الأخرى في الرسم إلى وعي الفنان المغربي، فجعلت مدارسها في الواقعية والانطباعية والتكعيبية والتعبيرية والتجريدية والسوريالية والدادئية، وغيرها من مدارس مستحدثة، الحقل الأثير الذي يحتطب منه الفنانون المغاربة الشباب.

الفنان محمد شعبة رفض كل تلك الأساليب بالرغم من دراسته الفن التشكيلي في مدرسة الشمال المغربي «مدرسة تطوان للفنون الجميلة» التي تعتبر من المدارس التي هدفت إلى إشاعة طرائق الرسم الأوروبي في المجتمع المغربي، كوسيلة من الوسائل الكثيرة، التي استخدمت لمد النفوذ الاستعماري الإسباني والفرنسي في التراب المغربي، وكذلك دراسته المعمقة في روما لأساليب الرسم الإيطالي.

لقد أنحاز الفنان شعبة بكلية إلى ما تثيره في نفسه الألوان، وما يشعره من فرح وبهجة حين ينجز عملاً فنياً يسعد به المغربي غير المتعلم، الذي يقف امام ألوان لوحاته وخطوطه مندهشاً، مستذكراً طفولته، وذكرياته التي تنبع من خلال ما يراه من أشكال هندسية ملونة.

مربعات ومثلثات، وأجزاء من نقوش زريبات غير مكتملة، وتطريزات بالأكليريك على القماش تدهش العيون المحملقة التي ترى الأشياء بذاكرتها الجمعية مستذكرة أفراحاً، وذكريات قديمة عاشها الأجداد في دواوير المدن المغربية، ومداشرها وقراها البعيدة، وعلى سواحل بحرها ومحيطها، وعلى سفوح جبال اطلسها ورمال صحاريها الواسعة. لم يكتف الفنان شعبة من خلال مناظرات فنية مع غيره من الفنانين على صفحات مجلة أنفاس التي أسسها عام 1965 وتأسيسه لجماعة 65 مع المليحي وبلكاھية وغيرهما من الفنانين المغاربة بل أسس لوعي فني مغربي ثوري في الفن.

كانت نتيجته أن رُج به إلى السجن خلال سنوات الرصاص بالمغرب صحبة فنانيين، وأدباء من ضمنهم عبد القادر الشاوي وعبد اللطيف اللعبي وغيرهما، معتبرين الفنان محمد شعبة من ضمن الحركة اليسارية المغربية، المحرزة على تغيير ثوابت المملكة المغربية السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

الفنان محمد شعبة الذي وافاه الأجل في 24 يوليو «تموز» 2013 عن عمر ناهز 78 عاماً ودُفن في مقبرة الدار البيضاء يوم الخميس 25 يوليو «تموز» 2013 وسط عدد من المشيعين من محبيه ومعارفه، وحلت أربعينته قبل أيام قليلة.

حاول منذ السبعينيات أن يجعل الحركة الفنية التشكيلية المغربية ضمن النسيج الاقتصادي والاجتماعي المغربي، فهو كان يؤمن أن الفن التشكيلي جزء لا يتجزأ من حركة الاقتصاد المغربي، وحياة المغاربة، وهو لا ينفصل عن شروط الأزياء التقليدية والذوق الشعبي المغربي التراثي العام.

فاللوحة الفنية لدى الفنان الراحل ثقافة بصرية تعلمها من أحساس البدوي بالفرح أمام نقوش، وتلوينات زربية جديدة تُهدى إليه أو يشتريها عن طريقة المبادلة التجارية، ويضعها عادة في صدر الديوان أو الخيمة التي يستقبل فيها ضيوفه ليشعرهم بغريزته الفنية، بهيبة المكان وعلو مقام صاحبه.

الفنان محمد شعبة الذي فقدته الحركة الفنية التشكيلية المغربية مؤخراً كجسد مادي بقي حياً يعيش في جدارياته المنتشرة في مختلف المدن المغربية والأجنبية، ولوحاته وفي ذاكرة من التقى بهم أو تتلمذوا على يديه، فقد كان من أبرز رواد الفن التشكيلي المغربي، وأكثرهم تأثيراً على الأجيال الفنية المغربية الشابة.

Latest news served
fresh everyday
...throughout the day.

gdonline.com

GDN ONLINE
NEWS... All day

GDNOnline GulfDailyNews GDNOnline

أخبار الخليج

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير: أنور محمد عبدالرحمن | مدير التحرير: عبدالمنعم إبراهيم